

التعبيئة هي الوفاق بين الإيمان والعمل

المكان: مدينة قم

المناسبة: الزيارة الخاصة لمدينة قم

الحضور: حشد كبير من التعبويين في محافظة قم

الزمان: 1389/8/2 ش. 1431/11/16ق. 2010/10/24م.

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين و الصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الأطبيين الأطهرين المنتجبين المعصومين سيمما بقية الله في الأرضين. السلام عليك يا سيدتي ويا مولاتي يا فاطمة المعصومة يا بنت موسى بن جعفر سلام الله وسلام ملائكته وعباده المنتجبين عليك وعلى آبائك المطهرين.

إن تجمع التعبويين الأعزاء بقلوبهم الدافئة والوفية وإراداتهم الراسخة
وعزائمهم المتينة في هذا المكان المقدس وبحضور الروح الطاهرة للسيدة
الجليلة المعصومة ابنة موسى بن جعفر يعدّ بحد ذاته مؤشراً وعلامة ورابة
لإبراز عظمة النظام الإسلامي وتقدمه إلى الأمام.

لو لم يكن لنا من دليل على حياة النظام الإسلامي ونشاطه وإرادته القوية

وأهدافه وتقدمه إلى الأمم سوى تواجد الملايين من الشباب المتحمس المؤمن الصادق ذي البصيرة من كل أنحاء البلاد، تحت عنوان التعبئة، لکفى ذلك للدلالة على أن هذا النظام وهذه الحركة العظيمة للشعب الإيراني منيعة ممحونة مقابل أعقد المؤامرات وأخطر تحركات الأعداء. وهذا بالطبع ليس شعاراً إنما هو كلام مستند إلى الأدلة المنطقية.

التعبئة إحدى الآيات الإلهية التي أعطاها الله تعالى لذلك العبد الصالح والرجل الكبير والشخصية النادرة المنقطعة النظير في تاريخ الإسلام من بعد الأئمة عليهم السلام. فكرة إطلاق التعبئة العامة وتعبئة المستضعفين التي طرحها الإمام الجليل وعمل بها ووقف بكل قوته إلى جانبها وسقى هذه الغرسة إلى أن تحولت إلى شجرة طيبة ﴿ثُوْتٌ يُكَلِّهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾⁽¹⁾ هو من الألطاف الإلهية على ذلك الرجل الكبير والعبد الصالح الخاشع لله. العين البصيرة للإمام كانت ترى علامات القدرة والمعونة الإلهية هذه. عيناً أثنا نلمس بعض الأحيان المعونات الإلهية لكننا لا نراها بصورة جيدة ولا نشخصها ولا ندرك أية مساعدة كبيرة، هذه يقدمها الله لنا، لكنه كان يرى ذلك.

في إحدى القضايا التي رويتها مراراً قال لي الإمام الخميني إنني منذ بداية الثورة وإلى اليوم - كان ذلك في حدود سنة 1365 [1986م] - كنت أشاهد يد قدرة تمتد لمعونتنا وتأخذ بأيدينا إلى الأمم. كان يرى يد القدرة هذه. نظرة الإمام لشعب إيران كانت مختلفة عن نظرة الآخرين. في ذلك اليوم لو أردنا

(1) سورة إبراهيم، الآية 25

استطلاع آراء الكثير من النخبة العلمية الدينية وغير الدينية والسياسية وسوى ذلك حول الشعب الإيراني لوجدنا أنها آراء عجيبة غريبة. البعض لم يكونوا يعتبرون هذا الشعب مؤمناً والبعض لم يكونوا يعتبرونه صادقاً، والبعض كانوا يشكرون بقوته ووفائه - وهذه آراء كثيرةً ما سمعناها - لكن الإمام في سنة 1341هـ [1962م] وفي نفس مدينة قم هذه، يوم لم يكن ثمة أي أثر لهذه التجمعات الهائلة، قال في مسجد أعظم هذا: إننا لو دعونا الناس فسوف تملأ الحشود صحراء قم ولسوف يلبون نداءنا. كانت نظرته للشعب مثل هذه النظرة. كان يعرف الناس وقد اكتشف ذلك العنصر الثمين الأكسييري الذي يبدل النحاس إلى ذهب في أرواح الناس وقلوبهم واستخدمه. لذلك انتصرت الثورة الإسلامية رغم العقبات الكبرى التي اعتورت طريقها. ما من محلل كان بوسعه أن يصدق أن يقع هذا الحدث هنا. لكنه اعتمد على الله وتوكل عليه وخاض في العمل وتواصل مع قلوب الناس ونزل الناس إلى الساحة ووقع هذا الحدث العظيم، ثم أطلق فكرة التعبئة.

وأنتم الشمار الحلوة الطيبة لتلك الشجرة الطيبة الظاهرة التي غرسها الإمام الجليل في الأرض بيديه. وسوف يتواصل هذا العطاء وهذه الشمار في المستقبل أيضاً. وقد قال الله تعالى: ﴿أَلمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةً طَيِّبَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * ثُؤْتِي أَكْلُهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾⁽¹⁾. حينما تكون التربة صالحة وجيدة والبذور ظاهرة فلن تكون هناك نهاية للنبات

(1) سورة إبراهيم، الآيات 24 و 25.

والنماء، أي لن يكون ثمة عامل بوسعي الإضرار بذلك النبات. والتعبئة مثل هذه الشجرة الطيبة الظاهرة.

لقد خرجت التعبئة ناجحة من امتحانات عديدة. في فترة الدفاع المقدس أنجز جيل الشباب من قبلكم أعمالاً كبيرة في ساحة القتال. وقد شاهدنا ازدهار ورود المواهب العطرة في أولئك الشباب. كان الشاب ذو الأربعين وعشرين سنة أو الثلاثة وأربعين سنة يجمع الجنود كقائد متبحر وصاحب تجربة ويوجههم ويرشدهم ويستعين بهم في الموضع المناسب ويحقق الانتصارات. هذا ليس بالشيء العادي. لقد مارست التعبئة دورها خلال فترة الحرب. وقد كان الجيش والحرس يعترفان أن تواجد التعبئة في كافة القطاعات المختلفة لهذه الجبهة الطويلة الشاقة تواجد مصيري.

وانهت الحرب المفروضة. وظن ذوي النظارات السطحية أن التعبئة أيضاً انتهت لكن التعبئة بقيت لأن الجهاد كان لا يزال باق ولأن ساحة الجد والعمل والجهود كانت لا تزال باقية. أينما كان ثمة جهاد تواجدت التعبئة هناك. الجهاد في ساحة العلم، والجهاد في ساحة السياسة، والجهاد في الميادين الاجتماعية، والجهاد في الميادين والسوق الدولية الواسعة.. هذا الجهاد متواصل وسوف يتواصل في المستقبل أيضاً.

معنى التعبئة هو الوفاق بين الإيمان والعمل. العمل الجهادي وليس مجرد العمل الشخصي. الإيمان المجرد عن العمل إيمان بمستوى دان من وجهة نظر الإسلام. الإيمان الكامل وال حقيقي هو المصحوب بالجهاد في ميادين العمل.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾⁽¹⁾.

المؤمن هو الذي يرفق الإيمان بالجهاد والهجرة والنصرة. بهذا يمكن تشخيص التعبئة ومعرفتها. الفكرة الخاطئة والمنحرفة القائلة بالاكتفاء بالإيمان بعيداً عن العمل والجهاد من أجل التقرب إلى الله، تردد عليها هذه الآية والكثير من الآيات الأخرى. التعبئة قائمة بالإيمان المصحوب بالعمل والعمل هنا هو العمل الجاهدي. إذن، فللجهاد مجالات مختلفة ذكرناها.

حققت التعبئة لحد الآن نمواً وتطوراً. تقدم التعبئة في الأبعاد المختلفة هو التقدم الذي يتوقعه أي إنسان يعرف التعبئة. فقد سجلت نمواً كميًّا، وكذلك نمواً نوعياً ومعنىًّا، وكذلك وقوفاً بوجه العقبات والمعارضات المؤثرة في قلب الإنسان والمزعزعة لفؤاده.. أي الوساوس.. لقد خرجت التعبئة من هذه الامتحانات مرفوعة الرأس.

ما ينبغي أن يكون معياراً لنا جمیعاً ولكل التعبويین الأعزاء ولكل الشباب العاملین في آیة رقعة من هذه الساحة الكبیرة هو العناصر الثلاثة: البصیرة، والإخلاص، والعمل في الوقت المناسب وبالمقدار المناسب. اربطوا دوماً بين هذه العناصر الثلاثة وخذوها بنظر الاعتبار. يجب أن تكون هذه العناصر الثلاثة معياراً ومؤشرًا بالنسبة لنا: البصیرة والإخلاص والعمل في الوقت المناسب وبالمقدار المناسب.

الشيء الذي يهدي إلى الطريق هو البصیرة. ما أصوب ما قال هذا القائد

(1) سورة الأنفال، الآية 74.

العزيز المحترم⁽¹⁾ من أن التعبويين استطاعوا حيال تعقيدات الأوضاع أن يوجدوا تعقیداً في أذهانهم وأفكارهم وشخصياتهم، ويعرفوا بذلك الأمور، وهذا ما دلت عليه أحداث عام 88. كان من الممكن للكثيرين أن يخطئوا وقد أخطأ الكثيرون. مع أن معظم الذين أخطأوا صححوا خطأهم بعد مدة قصيرة، لكن حركة التعبئة العظيمة احتفظت لنفسها بمؤشر البصيرة، وبراية البصيرة، ولم تخطئ، وكما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يعرف الحق بالرجال». لا يمكن معرفة الحق بالشخصيات. قد تكون الشخصية محترمة ومقبولة ومكرمة لكنها لا يمكن أن تعتبر مقياساً للحق. أحياناً قد تخطئ بعض الشخصيات المعتبرة مثل صحابة النبي وتسير في الطريق الخطأ. يجب معرفة الحق وتشخيص الدرب لكي نعرف هل هذا الشخص على حق أم على باطل. كل من سار في هذا الدرب حق، وكل من لم يسر في درب الحق فهو مرفوض. ينبغي معرفة الحق. الجماعة الشابة المؤمنة المجتمعة تحت مظلة التعبئة ورأيتها أبدت عن نفسها هذه البصيرة وأثبتت أنها تتحلى بال بصيرة. البصيرة هي العنصر الأول. ويجب أن يكون الحال كذلك في المستقبل أيضاً. يتبع التوفير على القدرة على التحليل والقدرة على التشخيص. قال الإمام الخميني - و هو رائد و مؤسس كل هذه الحركة والتيار، وله حق الحياة في عنق هذا المجتمع وهذه الحركة العظيمة - حتى لو انفصلت أنا عن الإسلام فسوف يعرض الناسُ عني. المعيار والمؤشر هو الإسلام وليس الأشخاص. هذا هو كلام الإمام قده.

(1) القائد جباري (قائد جيش علي بن أبي طالب في قم).

هو الذي علمنا أن نميّز الطريق ونعرفه ونشخص المسيرة الصائبة وندرك مخططات الأعداء ونقرأها لنستطيع أن نفهم أي الأعمال لصالح العدو وفي خطه وأي الأعمال على الضد من العدو. إذن البصيرة هي العنصر الأول. ينبغي عدم نسيان البصيرة.

العنصر الثاني هو الإخلاص. قيل إنه لو كان المرء يتطلع في ساحة الجهاد في سبيل الله إلى غاية شخصية كأن يطلب الغنيمة ويقتل، فلن يعدّ شهيداً في سبيل الله. شرط الشهادة وشرط الجهاد في سبيل الله هو أن يكون تحركه في سبيل الله والله، بمعنى أن يتحلى بالإخلاص. إذا أثرت الدوافع الشخصية والمحفزات الفئوية والعائلية وحالات الخجل من الأصدقاء في مسيرتنا وحركتنا لكان هذا الإخلاص مشوباً وغير نقى ولو قعّت لنا مشاكل. عدم الإخلاص سيفضح عن نفسه في موضوع من الموضع.

والعنصر الثالث هو العمل في الوقت المناسب وبالمقدار المناسب. ينبغي معرفة اللحظات. إذا لم يعرف المرء الوقت ولم يدر أي شيء يقوم به في أي وقت فقد تصدر عنه أخطاء كبيرة. وشبابنا التعبوي - سواء البنين أو البنات - يعملون في مجالات شتى.. المجالات الفكرية والعلمية والسياسية والاجتماعية.. كل هذه الأعمال إذا كانت لله ومن أجل أداء الواجب كانت جهاداً في سبيل الله. التعبوي هو الذي يقوم بهذه الأعمال، وينبغي في جميعها الحفاظ على ذلك الخط الواضح المشرق الصحيح، أي خط الثورة وخط النظام وخط إحياء الدين. لو أردنا تأمين هذه العناصر الثلاثة فعلينا مجاهدة أنفسنا، وهذا هو

من الأشياء الضرورية لفهم القضايا والأمور بشكل صحيح هو أن ننظر ما الخط والطريق الذي يسير فيه العدو. ومن الخطوط الرئيسية للعدو حالياً - والذي يعدّ من العناصر المهمة للحرب الناعمة - هو أن يعرض العدو الحقائق بنحو مختلف ويقدمها مشوهة متغيرة. الإعلام نفسه الذي يطلقه العدو في هذا المضمار دليل على ضعفه. أينما واجه العدو مشكلة على صعيد الواقع وعزّزه الحجج ضاغط من حجم إعلامه. لو لاحظ المرء ممارسات العدو حالياً على مستوى الأساليب الإعلامية من وسائل الاتصال الانترنتية إلى الوسائل الصوتية والتصويرية إلى منابرها في الأماكن المختلفة - ولهم منها في الداخل أيضاً - لوجد أن من الأساليب المهمة أنه يقلب أحداث البلاد ويصور وضع البلد على أنه باعث على اليأس والقنوط وسائر نحو الزوال والانحطاط والطرق المسدودة. جهودهم الحثيثة في هذا المجال تدل بحد ذاتها على ضعفهم في مضمار الواقع.

كان للعدو طوال فترة الأعوام الثلاثين المنصرمة مثل هذه الجهود. وقد ضاعف جهوده هذه في الوقت الراهن. لأن مسؤولي البلاد والحكومة التي تتولى زمام الأمور حالياً تركز أكثر على شعارات الثورة وتطرحها بجدّ أكبر، فخط الإمام وخط الثورة وخط العمل من أجل الناس خطوط بارزة اليوم جداً، والمسؤولون يشعرون أنهم مع الجماهير ومن الجماهير، والجماهير يشعرون في المقابل بنفس الحالة، لذلك يضاعف العدو من إعلامه.

لو نظرتماليوم ل الإعلام العدو لوجدم أنهم إذا تحدثوا في الشأن السياسي كان كل كلامهم أن هناك طريقةً مسدوداً وعقداً مستعصية على الحل ومشكلات كثيرة وغداً سوف يحدث كذا وكذا. والبعض يصدقون هذه الأقاويل ويكررونها في الداخل. قبل بدء الانتخابات وأحداث الفتنة كان بعض الذين بروزت معادنهم بعد ذلك في الفتنة يراجعوننا ويقولون: سيدى السنة القادمة سنة صعبة - أي سنة 88 نفسها - وستكون كذا وكذا من الناحية الاقتصادية، ويصورون الأجواء مستعصية وحالكة وصعبة ولا يمكن تجاوز المشكلات كانوا يريدون بث اليأس في نفوس المسؤولين بشكل وفي نفوس الشعب بشكل. وهذا الإعلام دليل على أنهم متخلقون عن المسيرة العظيمة والمتسارعة للمسؤولين والشعب. عليه، إذا تم تشخيص ومعرفة توجهات العدو ستكون نظرة الإنسان للواقع نظرة صحيحة ونافذة.

أو على صعيد السياسة الخارجية والسياسة الدولية تلاحظون حتى في صحفتنا، وقد لاحظتم في تصريحات بعض أصحاب الفتنة في السنة الماضية حيث كانوا يكررون: إننا صرنا أذلاء في العالم، وسمعة الجمهورية الإسلامية هتك في العالم، وسقطت مكانتها، وكذا وكذا.. واليوم حين ننظر إلى الواقع نجد أن سمعة الجمهورية الإسلامية تصاعد وتعظم يوماً بعد يوم في أنظار شتى شعوب العالم من المسلمين وغير المسلمين. أعداء الشعب الإيراني يعلمون ذلك ويفهمونه ويشعرون به لكنهم يتكتمون عليه طبعاً.

لماذا يجب الاستهانة بقضية زيارة رئيس الجمهورية إلى لبنان؟ كانت حدثاً

مهماً. إذا حصل مثل هذا الشيء لرئيس أي بلد وخصوصاً رؤساء الاستكبار لفتحوا له فصلاً طويلاً عريضاً في إعلامهم وفي استنتاجاتهم السياسية. شعب ليس من جيراننا، وليس كله من المسلمين، بل هو تركيبة من المسلمين والمسيحيين، والمسلمون فيه بدورهم تركيبة من الشيعة والسنّة، هذا الشعب بهذه التركيبة المتنوعة والمتعددة يخرج كله هكذا لاستقبال رئيس جمهورية الشعب الإيراني ويفيد حبه له.. هذا شيء نادر ومنقطع النظير. شيء لا يحدث لأي بلد في العالم. أي رئيس جمهورية في العالم تقع له مثل هذه الأحداث حينما يزور بلداً آخر؟ والأمر لا يختص بلبنان. لو زار مسؤولونا الكبار اليوم مصرًا ولو سمحوا لهم لحدث الشيء نفسه. ولو ذهبوا إلى السودان لحدث نفس الشيء. لو زاروا أي بلد إسلامي وفسحوا المجال هناك لحدث نفس هذا الشيء. هذا يدل على عظمة الشعب الإيراني. هذا هو ما فعلتموه وحققتموه أنتم. أنه فخر لكم. لو كانت حكومتكم حكومة منقطعة عن الشعب، ولا يحميها ملaiين الشباب المندفعين المتحفزين، لما حدث هذا. هذا من فعلكم أنتم الشباب. ولكن تلاحظون مع ذلك إعلام العدو كيف أنه يقف في النقطة المقابلة لهذه الحقائق. حين يضطرون لذكر الحقيقة يفسرونها بشكل مقلوب، وحين لا يضطرون لذكرها فإنهم بالطبع يكتمنها ولا يذكرونها أصلًا.

ومثل هذه الحالة بالضبط تصدق على ظاهرة التعبئة. ركز العدو في برهة معينة من الزمن - و لا تزال امتداداتها مستمرة إلى الآن بدرجات متفاوتة - إعلامه ضد التعبئة. وقالوا كل ما استطاعوا. قصفوا التعبئة قصفاً إعلامياً

ليسقطوها من أعين الناس، لكنهم لم يفلحوا، **﴿يُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾**⁽¹⁾، لن يسمح الله تعالى بكتمان هذه الحقيقة الساطعة. لذلك تألفت والحمد لله سمعة التعبئة في بلادنا يوماً بعد يوم. في كافة أنحاء البلاد ينظر الشباب في القطاعات المختلفة للتعبئة بأنها هوية متألقة يجب تعزيزها، فعززوها في ضوء هذه العناصر الثلاثة التي ذكرت: عنصر البصيرة، وعنصر الإخلاص، وعنصر العمل في الوقت المناسب وبالمقدار المناسب. لا يكن ثمة إفراط أو تفريط. دققوا في أن الإفراط يضر بمقدار ما يضر التفريط. عدم العمل وضعف النشاط يضرّ يقيناً لكن العمل المفرط يضرّ بمقدار ما يضرّ عدم النشاط. كونوا دقيقين حذرين. ينبغي عدم خفض الحماس الثوري حتى بدرجة قليلة. ويجب ارتفاع المحفزات الثورية في قلوبنا أنا وأنتم باضطرار. هذه الجبال الهائلة من المشكلات التي تعثور سبيل المستضعفين في العالم لا يمكن رفعها إلا بقدرة العزمية والإرادة الفولاذية والإيمانية. ليس الهدف مجرد ترتيب أمور البلد. فالعالم الإسلامي بل المجتمع الإنساني بحاجة إلى مساعدة الإسلام والأمة الإسلامية.

ثمة الكثير من المشكلات في الطريق ولا بد من العزم والإرادة، ولا مندودة من النظر للأفاق البعيدة. يجب لهذه العزمية والإرادة أن تبقى، وينبغي لهذا الحماس الثوري أن يتضاعف يوماً بعد يوم. التوسل إلى الله والتوجه إليه، والتمسك بالأولياء الإلهيين، وطريق العبادة، وطريق الخشوع، وطريق التفكير، يجب أن يكون مفتوحاً لنا جميعاً ويتوجّب أن نقوى أنفسنا عن هذا الطريق.

(1) سورة يونس، الآية 82.

يجب لهذا الحماس الثوري أن يبقى، ولكن دققوا في أن تستخدموه هذا الحماس والهياج الثوري القيم في مكانه، ولا تستخدموه في غير محله. هذا شيء بحاجة إلى التأمل والتفكير والوعي وال بصيرة.

لا ننتابكم الشكوك في أن غد الشعب الإيراني والأمة الإسلامية أفضل من حاضرها. كما أن هناك فرق بين ما كان عليه الشعب الإيراني قبل ثلاثين سنة وما هو عليه اليوم - أي منذ بداية الثورة وإلى اليوم - ولهم أن تلاحظوا كم تقدم الشعب الإيراني على كافة الصعد السياسية والعلمية والاجتماعية وغيرها، واعلموا أن الفرق بين التقدم الذي سيتحقق في السنوات المقبلة قياساً إلى اليوم سيكون أكثر حتى من ذلك. سوف يتقدم الشعب يوماً بعد يوم. حركة الشعب الإيراني على كافة الصعد حركة لا تقبل التوقف، وسوف تستمر إن شاء الله على الخط الصحيح والصراط المستقيم للهداية الإلهية والإسلامية والقرآنية. مستقبل الشعب الإيراني مستقبل مشرق، وهذا ما سوف يترك أثراً على العالم الإسلامي والأمة الإسلامية، وسوف تتيقظ الشعوب المسلمة إن شاء الله يوماً بعد يوم.

نرجو أن يعجل الله تعالى في فرج إمامنا المهدى المنتظر عليه السلام، ويجعلنا من أنصاره في حضوره وغيابه، ويرضى عنا قلبه المقدس.. ربنا اشمل كل الشعب الإيراني وخصوصاً التعبويين الأعزاء بأدعيته اللهم آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.